

التقنيات الحديثة في تجسيد مهارات التلقي للقراءة الابتكارية

د. لزرق هواري

جامعة مستغانم

الملخص:

تحاول هذه المقالة لاستكشاف الجانب المنهجي لسيمائية القراءة، وكيفية إجراء تحليل أدبي إذا كان هدفها الوحيد هو موقف القارئ، وليس المؤلف أو النص؟

تقدم هذه المقالة بعض نظريات القراءة، ومن ثم تقوم بتحليل النص من خلال الوقوف على آفاه.

في تعلم القراءة، لا ينبغي أبدا أن تضع مشهد الثنائية القراءة / الكتابة، كتابة ما يقرأ، هو السماح للقارئ التركيز بذاكرته في كيفية قراءة الحروف والمقاطع والكلمات عن طريق اليد مروراً بالكلمات، لإعادة إنتاجها بنفسه، حيث يدمجها بشكل أكثر فعالية وتأمين ما تم قراءته.

الكلمات المفتاحية: التقنيات الحديثة، التلقي، القراءة الابتكارية، المناهج النقدية.

Cet article tente d'explorer l'aspect méthodologique de la sémiotique de la lecture. Comment procéder à une analyse littéraire si sa seule visée est celle de la position du lecteur, et non plus de l'auteur ou du texte? Cet article présente quelques-unes des théories de la lecture, puis réalise une analyse de texte en se plaçant dans cette perspective.

Dans l'apprentissage de la lecture, l'articulation lecture/écriture ne doit jamais être perdue de vue. Écrire ce qu'il lit, c'est ce qui permet à lecteur de fixer dans sa mémoire la façon dont se lisent les lettres, les syllabes et les mots. En faisant passer les mots par sa main, en les reproduisant lui-même, le lecteur les intègre beaucoup plus efficacement que s'il se contentait de les lire.

لقد ارتبط الاهتمام بالقراءة ارتباطاً وطيداً بالمناهج النقدية التي كانت تستوحي النظريات البنيوية، وتزايد هذا الاهتمام بمقدار النضج للنقد، لتجسيد الأبعاد النظرية والاجتماعية للقراءة التي هي جزء من اللغة واللغة هي وسيلة للتواصل أو الفهم وتتكون اللغة من حروف وأرقام ورموز معروفة ومتداولة للتواصل بين الناس واللغة تتكون من قراءة وكتابة وقواعد، فالقراءة هي وسيلة استقبال معلومات الكاتب أو المرسل للرسالة واستشعار المعنى وهي وسيلة للتثقيف وكل هذا يتم عن طريق استرجاع المعلومات المسجلة في المخ من حروف وأرقام ورموز مثل قراءة النوتات الموسيقية و الصور التوضيحية... وفي مصطلحات علم الحاسوب، فإن القراءة هي استرجاع معلومات من أماكن تخزينها على الحاسوب كالأقراص الصلبة والمرنة وغيرها.

نظراً للتطور التكنولوجي الهائل والانفجار المعرفي الذي يشهده العصر الحالي والاهتمام بحرية التعبير وإبداء الرأي اتسع مفهوم القراءة وأصبحت القراءة عقلية انفعالية تشمل تفسير الرموز والرسوم التي يتلقاها القارئ عن طريق فهم المعاني والربط بين الخبرة السابقة للقارئ والاستنتاج والنقد والحكم والتذوق وحل المشكلات ومن هنا جاءت أهمية ربط القراءة بالابتكار والإبداع وخرجت القراءة من مفهومها التقليدي الذي أصبحت لا يفي بحاجات العصر إلى القراءة الابتكارية التي تجعل من الكتاب مصدراً للتفكير والإبداع وتجعل المتعلم يغوص في المادة المقروءة ليكتسب الحقيقة فيما يقرأ ويستدعي الأفكار المخبوءة التي يمتلكها هو والتي يمزجها بتخيله فيزداد رصيده من المادة المقروءة ويصبح قادراً على توظيفها واستخدامها أو إعادة كتابتها والتعبير عنها، فقد تعددت واختلقت المقاربات النظرية والتكنولوجيات الحديثة لظاهرة القراءة في تجسيد القراءة الفعالة الابتكارية.

1- المقاربات النظرية لظاهرة القراءة:

إن نظريات القراءة تحتوي على جملة من النصوص النقدية المعاصرة تمثل مختلف الاتجاهات النقدية السائدة الآن، وهي لمؤلفين عديدين، فنجد الدكتور عبد الرحمن بوعلي⁽¹⁾ أستاذ النقد الحديث بكلية الآداب جامعة محمد الأول، وجدة المغرب، ألف كتابا بعنوان "نظريات القراءة" وضع لها هذا العنوان الجامع سعيا منه لتقديم نظريات معاصرة في النقد الأدبي، انطلاقا من أعمال مجموعة من النقاد الغربيين الذين ينتمون إلى عدة جامعات أجنبية. وهكذا جاءت الدراسة الأولى بعنوان: من أين نبدأ؟ وهي للناقد رولان بارت (درجة الصفر في الكتابة).

وجاء النص الثاني تحت عنوان (القراءة كبناء) وهو للناقد ترفيتان تودوروف من كتابه (شعرية النثر).

أما النص الثالث فهو لريمون ماهيو بعنوان (القراءة السوسيو-ثقافية)، والرابع لفردناند هالين وفرانك شويرويجن تحت عنوان (من الهرمينوطيقا إلى التفكيكية)، والخامس لميشال أوتن بعنوان (سيمولوجية القراءة) والسادس والأخير لفرانك شويرويجن بعنوان (نظريات التلقي).

والنصوص الأربعة الأخيرة من كتاب Méthodes du texte: Introduction aux études littéraires لعدة مؤلفين وقد صدر بباريس العام 1987.

وقد اختار المترجم هذه النصوص باعتبارها مفاتيح أولية لمعرفة المناهج المعاصرة الأكثر تأثيرا فينا، والأوسع حضورا في ساحة النقد العربي من جهة، ولكونها من جهة ثانية تعالج الإشكالية الأساسية التي ينبغي أن يواجهها النقد، وتتعلم بتشكيل مناهج القراءة في جانبها النظري والتطبيقي، وهو يرى أن حاجتنا ماسة إلى استيعاب المناهج النقدية المعاصرة، ولكن ليس من أجل تقمصها وتطبيقها كما تم إنجازها، بل عن طريق نقدها ومساءلتها وتبين مدى قدرتها على مساءلة النص العربي، مع الوعي بالاختلاف والائتلاف. وبهذه الشروط يرى أنه يمكن لهذه النصوص أن تضيف إلى ممارستنا النقدية ما يبدو أننا في حاجة إليه في القراءة باعتبار أنها شكل من أشكال المنهج من ناحية وبوصفها لمنهجية تتيح أكبر قدر من الحرية للقارئ في اشتغاله بالنص الأدبي، وبذلك تنعدم الحدود بين المنهج والقراءة.

وما يطبع المشهد النقدي المعاصر من تنوع وتطور، وكأن حلقات المشهد سلسلة متصلة يأخذ بعضها بعري بعض، بدءا من البنيوية مروراً بالسوسولوجية، والهرمينوطيقا، والتفكيكية، وصولاً إلى نظريات التلقي كما صاغها وولفجانج إيزر وهانس روبرت ياكوب وإيكو وغيرهم من منظري جمالية التلقي في النقد الغربي.

ولا شك أن قارئ هذه النصوص النقدية على اختلاف اتجاهاتها ومكوناته يستطيع أن يلاحظ العناصر المشتركة بين المناهج التي يتبناها كل منها، وليس ذلك كما يؤكد المترجم إلا لأن "الناقد الغربي في بنائه لمنهجه لا يستطيع أن يتخلى عن تراثه، أو عن العناصر المشرقة في هذا التراث.. وهو مثلما لا يستطيع التخلي عن تراثه، لا يستطيع أن يتجاهل مساهمات معاصريه، مما يؤدي إلى الوصول إلى نتائج هامة.

القراءة هي تعليمات أساسية يأخذها المتلقي من المدرسة الابتدائية متمثلة في الكتابة ورموز من أجل تجسيد هدف التمدرس الإجباري تحت رهان الاستطاعة وبمختلف الطرق المتخذة التي تواجهها في التعليم. هناك عدة طرق من بينها الطريقة التقطيعية "syllabique" هي من أقدم الطرق التي وظفت لتجميع الحروف وتكوين الكلمات وتسمى أيضا طريقة A و B و AB.

كذلك من ضمن التقنيات⁽²⁾ نجد الاستدلال «repérage» يتطلب سرعة إيجاد المعلومة القاعدية بموارد مطبوعة للنص "ressources typographiques du texte"، وذلك بالتأقلم مع مصادر مرجعية معلوماتية كالحوليات والقواميس بتسلسل هرمي.

عملية الفرز "écrémage" تستعمل في حالة غموض تركيبة النص، يجب أن يقرأ النص بزاوية أخرى بالوقوف عند الكلمات المفتاحية الحاملة للمعلومة، من أجل تحقيق القراءة السريعة "lecture rapide" التي تتماشى مع إستراتيجية الفرز إضافة إلى القراءة الأفقية "lecture verticale" مع الحفاظ على نفس المسافة بين العين والصفحة لأن سرعة ودقة الحركة للعين مهمة وأساسية "oculométrie".

2- مبادئ القراءة وتقنياتها:

القراءة عملية بنائية بمعنى انه لا يوجد نص يفسر نفسه تفسيراً تاماً فعند تفسير النص (3) يعتمد القارئ على مخزون المعرفة عن موضوع النص وذلك من خلال استخدام القارئ معرفته السابقة لتفسير النص، حيث تعتمد طريقة قراءة النص على مقدار تعقد النص ومدى فهم القارئ لموضوعه والهدف من القراءة سواء أكان الهدف تعليمياً أو بهدف التسلية، لأن تعلم القراءة منوط بتحكم القارئ في قراءته حسب المادة المقروءة وقدرته على الاستيعاب، حيث أن القراءة الجيدة تتطلب الاستمرارية والممارسة والتحسين المستمر، وهذا لتحقيق الغايات الأسمى لتحقيق المقروئية ومن جملتها نجد:

. أهداف تعبدية : كقراءة كتب العلم في تخصص الشريعة أو قراءة القرآن.

. أهداف وظيفية : كمن يقرأ في صلب تخصصه وطبيعة عمله.

. أهداف تطويرية : وهي قراءة ما يصقل الشخصية ويعزز المواهب.

. أهداف ثقافية ومعرفية : مثل القراءة العامة للمعرفة والإطلاع وزيادة المخزون الثقافي.

. أهداف ترويجية : قراءة لترويج النفس.

. أهداف واقعية : بالتفاعل مع الواقع.

إذا كان موضوع النقد الأدبي هو العمل الأدبي فما هو موضوع نظريات تلقي العمل الأدبي؟. أهو كفاءات القارئ؟. أهو النص الذي تظهر من خلاله هذه الكفاءات؟. أهو علاقة التأثير والتأثر بين النص وقارئه؟.

تتضمن هذه الأسئلة أننا نقتصر فقط في عملية القراءة على تبادل بين طرفين وحيدتين وحسب! أمكننا قبول هذا؟ أليست علاقة المرء بالقراءة علاقة ترتبط بالعادات الثقافية وبالنماذج الثقافية التي تقترحها البيئة الاجتماعية التي ينشأ فيها الفرد القارئ كما أنها ترتبط كذلك بثوابته النفسية؟

هناك طريقتين، في حقيقة الأمر، لمعالجة هذه المشكلة، حيث تحليل نص ما يعني إما أن نتساءل عن كيفية قراءة النص أو أن نتساءل عما نقرأه أو عما يمكن أن نقرأه في النص. فإذا كانت دراسة "كيفية القراءة" تضيء على نظريات "التلقي" بعضاً من صفاتها المميزة فإن البحث في "محتوى القراءة" يؤدي في أغلب الأحيان إلى التساؤل عن معنى النص أو عن معانيه. ويقود الباحث في هذا الطريق كذلك غموض المصطلحات التي يستخدمها. فينشأ عن ذلك خلط بين دراسة القراءة ودراسة العمل الأدبي.

ولقد تردد الدارسون دائماً أمام هذين المنهجين وكيفية اللجوء إليهما وتطبيقهما. وظهرت نتيجة لهذه المواقف المتباينة تيارات نقدية يمكن أن نميز بين أهمها مدرسة كونستانس الألمانية ومدرسة التحليل الدلالي (السيميوطقي) ومدرسة تحليل الرموز ونظريات القارئ الحقيقي.

ومدرسة كونستانس هي أولى المحاولات الكبرى لتجديد دراسات النصوص على ضوء القراءة. وكان اهتمام الباحثين قبل ذلك منصباً على كشف الروابط القائمة بين النص ومبدعه، فراح أتباع المدرسة الألمانية ينادون بانتقال البحث من العلاقة بين الكاتب ونصه إلى العلاقة بين القارئ والنص.

غير أن مدرسة تحليل كونستانس تتفرع في واقع الأمر إلى منهجين يتميز أحدهما عن الآخر. فبينما يعني الأول "بعلم جمال التلقي" وأبرز مثليه هو هانز روبر جوس Hans Robert Jaus يهتم الثاني بفرضية "القارئ الضمني أو القارئ المستتر" ويقوده إيزير W. Iser.

لقد ظهر "علم جمال التلقي" في مطلع العقد السابع تحدوه الرغبة بإعادة النظر في طرق دراسة تاريخ الأدب، ويلاحظ جوس أن العمل الفني عامة والعمل الأدبي على وجه الخصوص لا يفرض نفسه ولا يستمر في الحياة إلا من خلال جمهور ما، وعليه فإن التاريخ الأدبي هو تاريخ جماهير القراء المتعاقبة أكثر من تاريخ العمل الأدبي بحد ذاته. وبما أن الأدب هو نشاط تواصلية فإنه ينبغي علينا أن نحلل الأدب من خلال الآثار التي يتركها على مجموعة المعايير الاجتماعية.

وأما نظرية إيزير بخصوص القارئ الضمني فقد نشرها عام 1976، فبينما كان جوس يستقصي أبعاد التلقي التاريخية كان اهتمام إيزير منصباً على تحليل أثر النص الأدبي على الفرد القارئ، وينطلق إيزير من أن القارئ هو الغاية الكامنة في نية المؤلف حين يشرع في الكتابة. وعليه فإن واجب النقد الأدبي هو أن يبين كيف ينظم الكتاب المدرس طريقة قراءته ويوجهها بغاية الحصول على الأثر المبتغى ثم عليه أن يظهر ردة فعل الفرد القارئ في ملكاته الإدراكية أمام السبل المختلفة التي يقترحها النص المقروء.

إذا رجعنا إلى مفهوم القراءة في النظريات النقدية التي سبقت نظرية التلقي فإننا سنجد، على الرغم من تداوله الكبير، قد عرف ضيقاً شديداً وانحساراً واضحاً في دلالاته، إذ ظل يتحرك داخل الإطار المنهجي الذي يختاره القارئ، وهذا ما يجد من فاعلية القراءة. من هنا كانت دعوة نظرية التلقي إلى القراءة التكاملية التي: "تفرض على القارئ، خلاف غيرها، أن ينظر إلى النص بكل العيون لا بعين واحدة وأن يتحسس النص بكل الحواس لا بحاسة واحدة، المهم في كل هذا أن هذه القراءة تبصر بعيونها عيون النص، وتدرك بوعيتها وعي النص، والأهم أن هذه القراءة تقرأ النص بعيونه وتتعلم في ما تخفيه تلك العيون من أسرار وسرائر لا يعرف قيمتها إلا من يكابد شوق الوصول إليه" (4)، بهذا يمكننا القول إن نظرية التلقي تشير على الإجمال إلى تحول عام من الاهتمام بالمؤلف والعمل إلى النص والقارئ.

إن القراءة هنا لا يمكن أن تتحقق إلا من خلال دخول القارئ في علاقة بالمقروء، وهنا يظهر تأثير نظرية التلقي بالفلسفة الظواهرية التي كانت بمثابة رد فعل ضد الفلسفة العقلية التي تنشد الحقيقة المطلقة وفي هذا إشارة واضحة إلى تركيز الفلسفة الظواهرية على النسبية في تعاملها مع الأشياء؛ ومنها النص الأدبي الذي يأبى كل قراءة تدعي الاكتمال، فالعمل الأدبي ليس له وجود إلا عندما يتحقق؛ وهو لا يتحقق إلا من خلال القارئ، ومن ثمة تكون عملية القراءة هي تشكيل جديد لواقع مشكل من قبل هو العمل الأدبي نفسه، وهذا الواقع المشكل في النص الأدبي لا وجود له في الواقع حيث أنه صنعة خيالية أولاً وأخيراً؛ وذلك على الرغم من العلاقة الوثيقة بينه وبين الواقع، وعندئذ تنصب عملية القراءة على كيفية معالجة هذا التشكيل المحول إلى الواقع، وتتحرك على مستويات مختلفة من الواقع: واقع الحياة، وواقع النص، وواقع القارئ ثم أخيراً واقع جديد لا يتكون إلا من خلال التلاحم الشديد بين النص والقارئ" (5).

إن نموذج التحليل الدلالي الذي اقترحه الإيطالي أمبرتو إيكو Umberto Eco عام 1979 في كتابه القارئ في النص Lector in fabula لا يختلف اختلافاً كبيراً عن النموذج الذي دافع عنه إيزير، وهو يقترح تحليلاً لما يسميه "بالقراءة المتعاونة أو المستجيبة"، وغاية التحليل كما يراها العالم الإيطالي هي دراسة كيف يبرمج النص شكل تلقيه ودراسة ما يقوم به القارئ وبالأحرى ما ينبغي أن يقوم به القارئ الفطن كي يستجيب على نحو حسن للنداء الكامن في البنية النصية.

ويعود الفضل في ظهور نظريات التحليل "الرمزية" لفيليب هامون Hamon ولأوتين Otten وقد عرضاها في العقد الثامن وهي

تقوم على الرغبة بدراسة عملية القراءة من خلال تفاصيل النص، وليست الغاية هنا هي اقتراح نماذج تأويلية عامة تصلح لكل النصوص وإنما الغاية هنا هي اقتراح تحاليل محددة وغاية في الدقة تلقي الضوء على ما يميز هذا الجانب أو ذاك من عملية القراءة، ومع ذلك فقد حاول أوتين أن يقترح منهجاً تركيبياً نستطيع بفضلُه أن نفهم نشاط القراءة من خلال ثلاثة ميادين رسم حدودها بدقة، وهي ميدان النص المعروض للقراءة ثم ميدان هذا النص كما يقرؤه القارئ وأخيراً طبيعة علاقة ذلك النص مع قارئه.

ولكننا نجد عند هذه النقطة من منهج أوتين تفاصيل كثيرة يقتبسها من دراسات سابقة وخصوصاً إيزير وإيكو. ظهرت نظرية التأثير والتقبل في ألمانيا في أواسط الستينيات (1966م) في إطار مدرسة كونستانس وبرلين الشرقية قبل ظهور التفكيكية ومدارس مابعد الحداثة على يدي كل من فولفغانغ إيزير (6) Wolfgang Iser وهانز روبير جوس Hans Robert Jauss ومنظور هذه النظرية أنها تنور على المناهج الخارجية التي ركزت كثيراً على المرجع الواقعي كالنظرية الماركسية أو الواقعية الجدلية أو المناهج البيوغرافية التي اهتمت كثيراً بالمبدع وحياته وظروفه التاريخية، (7) والمناهج النقدية التقليدية التي كان ينصب اهتمامها على المعنى من النص باعتباره جزءاً من المعرفة والحقيقة المطلقة، والمناهج البنيوية التي انطوت على النص المغلق وأهملت عنصراً فعالاً في عملية التواصل الأدبي ألا وهو القارئ الذي ستهتم به نظرية التلقي والتقبل الألمانية، ترى نظرية التلقي أن أهم شيء في عملية الأدب هي تلك المشاركة الفعالة بين النص الذي ألفه المبدع والقارئ المتلقي، أي أن الفهم الحقيقي ينطلق من موقعة القارئ في مكانه الحقيقي وإعادة الاعتبار له باعتباره هو المرسل إليه والمستقبل للنص ومستهلكه وهو كذلك القارئ الحقيقي له، لأن القراءة تختلف في الزمان والمكان حسب طبيعة القراء ونوعيتهم، لذلك يرى أمبرتو إيكو U.ECO أن هناك أنماطاً من القراءة والقراء في دراساته عن النص المفتوح والنص الغائب:

- 1- نص مفتوح وقراءة مفتوحة.
- 2- نص مفتوح وقراءة مغلقة.
- 3- نص مغلق وقراءة مغلقة.
- 4- نص مغلق وقراءة مفتوحة.

وقد كانت هناك مؤثرات وراء تشكل نظرية التقبل منها النظرية الفينومولوجية أو الفلسفة الظاهرية التي ظهرت في ألمانيا مع هوسرل ورومان إنجاردان، وترتكز هذه الفلسفة على ترابط الفكر والوجود الظاهري للأشياء، وبتعبير آخر، تؤمن هذه الفلسفة بتفاعل الذات والموضوع بطريقة تواصلية من الصعب الفصل بين القطب الذاتي والموضوعي، أما المعنى فإنه يستخلص من خلال التفاعل والتواصل بين هذين الفاعلين.

ويقول إيزير محدداً مؤثرات أخرى لنظريته: "من الشائع الآن أن النظريات تمارس تأثيراً معيناً على الساحة الثقافية الألمانية: الماركسية، ونظرية التحليل اللغوي، ونظرية الإعلام، والتأويل، والتحليل النفسي، أما بالنسبة للدراسات الأدبية بوجه خاص، فيبدو أن أبرز هذه الاتجاهات هو التحليل النفسي، وفن التأويل، وفضلاً عن ذلك ينبغي أن نذكر نظرية تجريبية في الأدب، اكتسبت شهرة عظيمة في الأعوام الأخيرة؛ هي تسجيل استجابات الناس واستخلاص استدلالات فيما يتعلق بالقانون الاجتماعي الذي يتحكم في اتجاهاتهم.

وقبل التأثير الذي تركته النظريات السالفة الذكر، انتشرت النقدية الجديدة في الدراسات الأدبية الألمانية؛ إذ أثبتت هذه النزعة أنها رد فعل للانتفاع بالنص الأدبي في أغراض شتى، وخاصة في الأغراض السياسية، في ماضي ألمانيا القريب.

ثم ظهرت طريقة جديدة لدراسة عملية القراءة تأخذ بعين الاعتبار القارئ الحقيقي، وقد عرض الفرنسي ميشيل بيكار منهجه ذلك في كتابين نشر أولهما عام 1986 بعنوان القراءة كلعبة وظهر ثانيهما بعد ثلاث سنوات بعنوان (قراءة الوقت) Lire le temps ويأخذ بيكار على المهتمين بدراسة القراءة أنهم يخللون في واقع الأمر قراءات نظرية ومجردة يقوم بها قراء نظريون

ومجردون، وهو يرى أن الوقت قد أزف، لنطرح جانب تلك القراءات الموهومة والتي لم توجد قط ولندرس القراءة الوحيدة الصائبة وهي القراءة الملموسة المحددة التي يقوم بها القارئ الملموس المحدد. وعلى نقض القارئ المجرد الذي يقترحه نموذجاً إيزير وإيكو فإن القارئ الحقيقي الملموس يدرك النص بذكائه وبرغبته وثقافته وبقيوده الاجتماعية والتاريخية وكذلك بشخصيته.

ولقد اقترح الفرنسي فينسان جوف في كتابه الشخصية الروائية بصفتها أثراً في الرواية (1992) L'Effet-personnage dans le roman منهجاً في التحليل قريباً من منهج بيكار ولكنه أكثر اعتماداً على التحليل النفسي منه.

لقد اعتمدنا في توثيق معظم الروايات العربية المعاصرة وكتّابها المذكورين على معجم الروائيين العرب للدكتور سمر روجي الفيصلي، وعلى معجم أعضاء اتحاد الكتّاب العرب في القطر العربي السوري والوطن العربي والذي أعده أديب عزت وسليمان عامود وراجعته عبد الله أبوهيف.

وفي الحقيقة فإن إيزير وإيكو يتطلّعان إلى ما وراء حدود النص حين يدرسان مفهوم القارئ الضمني أو مفهوم القارئ النموذجي، وليس من شك في أن تحليلهما ينصرف إلى كيف "يُجسّد" القارئ الحكاية أكثر من انصرافه إلى الحكاية ذاتها. تنبع الصعوبات التي استعرضت حين درست مختلف أنماط القارئ النظرية من أن تلك الأنماط ليست بالضبط نظرية تماماً ومن أن البرهان لم يقدّم بعد فاصلاً قاطعاً على حقيقة وجود هذه الأنماط وجوداً مستقلاً عن المحلل يضمن سلامة التحليل وشموليته.

فحين يشرع أمبيرتو إيكو بوصف ردود أفعاله قارئه النموذجي فإنه يصف في واقع الأمر ردود فعل أمبيرتو إيكو ذاته، وهو يقرّ بذلك مُحرّجاً:

"إنّه ليس من السهل دائماً أن نفرّق بين التأويل النقديّ (أي تأويل الناقد نفسه) وبين المشاركة المؤولة التي يُبرمجها النص نفسه والتي يضعها في متناول جميع القراء، إن الحدود بين هذين النشاطين واهية تماماً، وعلينا أن نُشعّرها على قوّة المشاركة المؤولة وعلى بساط نتائجها بوضوح ودقّة."

وعليه فإنّ المعايير التي قد تُساعدنا على أن نفرّق بين تلقّي قارئ ما وتلقّي القارئ النموذجي ليست بينة البتّة، ولقد استخلص أمبيرتو إيكو سمات القارئ النموذجي الذي اقترحه وحسب اعترافه، بفضل قوّة مُشاركتِهِ المؤولة ووضوحها ودقّتها لأقصوبة كتبها الفرنسي ألفونس ألييه Alphonse Allais بعنوان مأساة باريسية حقاً، ولنا كل الحق بأن نشكّ كل الشكّ بأن مُنظراً آخر سيصل إلى ذات السمات وإلى ذات النتائج.

ومهما يكن الأمر فإنّ علينا الإقرار بأنّ القارئ الذي يفترضه النص الأدبي هو على الدوام قارئ وهمي وأتّه ليس إلا فرضية يُقيّمها الكاتب لينيّ حكايته، والحق أنه ليس بإمكان كاتب ما حتّى ولو كان الجاحظ أو الهمداني أن يتوجّه كتابته إلى قارئ حقيقي.

2-1- القارئ الحقيقي:

2-1-1- التلقّي الملموس:

إن قصور النماذج القائمة على مفهوم المروي له المجرد وعجزها عن الإحاطة بعملية التلقّي قد دفع بكثير من الباحثين من أمثال ميشيل بيكار M...Picard إلى التخلّي عن فكرة القارئ النظري وإلى توجيه اهتمامهم إلى دراسة القارئ الحقيقي ذلك الفرد المخلوق من لحم ودم والذي يأخذ بالكتاب بين يديه، وهؤلاء يعتبرون أن تلك هي الوسيلة الوحيدة التي تجعلنا نفهم قراءة النص الأدبي على نحو مفيد ويقول بيكار ناطقاً بلسان زملائه، إنّ مفهوم القراء المجرّدين كان بلا ريب خطوة علمية

هامّة قادت البحث النقديّ إلى الأمام، كالقارئ القائم في النصّ أو القارئ الضمنيّ أو القارئ النموذجيّ وإلى غير ذلك من دقائق وتصوراتٍ طريفة يبدو في كثيرٍ من الأحيان وكأنه هروبٌ خجولٌ من مواجهة حقيقة شائنة، ببساطة، أنّ للقارئ الحقيقيّ جسداً يعيش فيه ويقرأ فيه كذلك، والقارئ الحقيقيّ ليس أبداً روحاً تائهةً تنفلتُ في سمواتِ الحكاية دون قيدٍ، إنّهُ إنسانٌ موجودٌ حقاً يفعلُ بصفته هذه أمام النصّ وأمام ما يقترحه النصّ من عواطفٍ وأهواءٍ أو من أشكالٍ فكريةٍ وعقائديةٍ، كيف نستطيع أن ندرسَ دراسةً مثمرةً، مثلاً رواية توفيق الحكيم عصفور من الشرق بدون أن نعملَ على اكتشاف الأساليب التي تأخذ بعواطفِ القارئ (وهو مخلوقٌ حيٌّ يتنفسُ ويهتُرُ انفعالاً) فتُفجِّمُهُ في عالم الرواية إقحاماً وتجعله مُتحفظاً قبالة نوايا الكاتب؟ فالنفور الحقيقيّ الذي يشعرُ به القارئ هو نفورٌ يُبرِّجُهُ النصّ الروائيّ ذاته (إن كان على نحوٍ مقصودٍ أو غير مقصودٍ) هو الذي يجعلُ منه رمزاً للتسامي ولقوة الفكر.

كيف نستطيع أن نُقدّر حقّ تقديرها رواية جرجي زيدان أسير المتهدي

(1892) إن أغفلنا الجانبَ العقائديّ الكامنَ فيها؟ إنّ القارئ الحقيقيّ مدفوعٌ على نحوٍ خفيٍّ، وراء سلسلة المغامرات الحربية التي تغصُّ بها الرواية ووراء قصّة الغرام الذي يربطُ بطليها، إلى قبول مشروع مصر الخديوية وبريطانيا العظمى في احتلال السودان وبسط هيمنة استعمارية غريبة عليه؟.

إن النظريّات السردية لا تكفي وحدها للإحاطة بكلّ أبعاد النصّ الأدبيّ، وليس يكفي أن نُبرهنَ على فعالية البنية القصصية، بل لابدّ لنا بعد ذلك أن نستخلصَ تأثيرها على القارئ المحسوس ويبقى الأمر طبعاً أن نعرفَ كيف تُحيطُ بهذا القارئ تحليلاً. إن عملية التلقي "والمقصود بالتلقي هنا هو تلقي الأدب، أي العملية المقابلة لإبداعه أو إنشائه أو كتابته، وعندئذ قد يختلط مفهوم التلقي ومفهوم الفاعلية التي يحدثها العمل، وإن كان الفرق بينهما كبيراً، حيث يرتبط التلقي بالقارئ، والفاعلية بالعمل نفسه، ومن ثمة يختلف تاريخ التلقي عن تاريخ الفاعلية" (8).

إن الشيء الأساس في قراءة عمل أدبي ما هو التفاعل بين بنيته ومتلقيه وهذا يعني "أن للعمل الأدبي قطبين، قد نسميهما "القطب الفني والقطب الجمالي".

2-2-2- أطرافُ القارئ:

يقترح ميشيل بيكار في كتابه القراءة كلعبة أن تُميّزَ في كلّ قارئ ثلاثة أطرافٍ أساسيةٍ أو ثلاث جهات، فهناك الطرفُ القارئ الذي يُمسكُ بالكتاب أثناء المطالعة ويحافظُ على العلاقة مع الوسط المحيط به، وهناك الطرفُ اللاواعي في القارئ والذي ينفعلُ بنى النصّ الوهمية ويستجيبُ إلى مؤثراته، وهناك أخيراً الطرفُ الناقد الذي يصرفُ عنايته إلى إدراك تعقّد النصّ، وعليه فإن القراءة في نظام بيكار تبدو على أنّها علاقةٌ مُعقّدة بين ثلاثة مستويات متباينة في علاقتها مع النصّ. إن تقسيم بيكار هذا، وعلى أهميته، يُثيرُ بعض التحفظات، فإن كان وجود الطرف الأول الماديّ أمراً لا ريب فيه فإن مفهومه لا يُساعدنا كثيراً على تحليل النصّ بالمعنى الدقيق، ويصعبُ علينا كذلك أن نقبلَ بمبدأ سلبية الطرف الثاني، ونرى أن هناك موقفاً متوسطاً بين المشاركة النقدية في النصّ والاستجابة السلبية لنداءاته، ومن جهةٍ أخرى إن كان ما يُميّزُ الطرف الثالث في القارئ هو أنه يتخذُ بينه وبين النصّ مسافةً تساعده على النقد فإنه من الضروريّ ولا شك أن نُنشئ درجاتٍ في تلك المسافة.

3- القراءة نشاط متعدد الوجوه:

إن نشاط القراءة معقد ومتعدد ينمو في اتجاهات كثيرة. ولقد ظهرت محاولات نظرية عديدة للإلمام بها من خلال أبعادها الكثيرة. وسنعرض هنا لواحدة منها ترى في القراءة نشاطاً ذا أبعاد خمسة أساسية. (9)

3-1- القراءة نشاط عصبي وفيزيائي:

القراءة هي قبل كل شيء فعل مادي ومحسوس تمكن ملاحظته ويعبئ ملكات محددة في الكائن البشري، فالقراءة تتعذر مثلاً إن أصاب الجهاز البصري أو بعض أقسام الدماغ عطب كبير فالقراءة إذن وقبل أن تكون تحليلاً لمضمون هي إدراك حسي لرموز الخط وتعرف عليها وتذكر لها، ولقد حاولت دراسات أن تصف مراحل عملية القراءة هذه وصفاً دقيقاً ومنها كتاب فرانسوا ريشودو : المقروئية (1969). Francois Richaudeau La lisibilité. ولقد برهنت جميعها على أن جهاز العين لا يلتقط رموز الخط الواحد تلو الآخر ولكنه يأخذها "بجمعة" في رزم صغيرة، وعليه فمن الشائع أن تقفز العين فوق بعض الكلمات أو أن تخلط بين حرف وآخر.

ولقد أثبتت تلك الدراسات كذلك أن حركة النظرة ليست أفقية ولا متناسقة، ولكنها تقفز قفزات مفاجئة ومتقطعة تفصل بينها وقفات قد تطول أو تقصر، ويتراوح طول هذه الوقفات بين ربع الثانية وثلاثها، وهذه الوقفات هي ما يسمح لنا بإدراك الحروف، فخلال هذه الوقفات "تسجل" العين سبعة أو ثمانية رموز وتستبق في نفس الوقت بقية الرموز "فتلقي نظرة" عليها بفضل محيط العين الجاني.

يسهل على القارئ إدراك رموز الخط بقدر ما يكون النص المقروء مؤلفاً من كلمات قصيرة مألوفة قديمة وسهلة ذات معانٍ متعددة، ومن جهة أخرى فإن قدرة الذاكرة المباشرة تتراوح بين ثمان كلمات وست عشرة كلمة، وهذا يعني أن أفضل الجمل تلاوفاً مع هذا الاستعداد الذهني الطبيعي هي الجمل القصيرة ذات البنية المتناسكة، ولقد لفت ريشودو النظر إلى أن إهمال الكاتب لشروط "المقروئية" العامة هذه قد يتسبب في أن ينزلق القارئ في سبل معانٍ كثيرة، وعندها لا يكون النص "المقروء" عين النص "المكتوب".

إن انزلاق معنى النص ليس أمراً نادراً في ميدان الأدب، ولندكر غموض الصيغ عند أبي تمام (779-845) أو وحشية مفرداته وما آلت من صعوبات شتى في التأويل، ولندكر من بين معاصرينا أسلوب حيدر حيدر (سورية 1936) في روايته المضنية الزمن الموحش (1973) أو رواية ادوار خراط (مصر 1926) المعقدة رامة والتنين (1980).

إن هذا وحده يكفي للدلالة على أن فعل القراءة ذاته هو نشاط ذاتي إلى درجة بعيدة، وهكذا فإن القراءة تظهر حين ننظر إليها من جانبها الفيزيائي العضوي، على أنها نشاط استباقي وتنظيمي وتأويل.

3-2- القراءة نشاط معرفي:

بعد أن ينظر القارئ إلى رموز الخط وبعد أن "يفكّها" يحاول عندها أن يفهم ما الأمر وعما يدور الحديث. إن تحويل الكلمات أو "رزم الكلمات" إلى عناصر ذات معنى يفترض أن يبذل القارئ جهداً كبيراً للتجريد.

وقد يظل فهم القارئ ضمن حده الأدنى، وهو يكتفي عندها بأن يرافق الأحداث الجارية أمام ناظره، فينصب اهتمامه على توالي الأحداث وليس له من هم إلا أن يبلغ نهاية الكتاب وخاتمة وقائعه، وهو ما يحدث على الأغلب عندما نقرأ روايات بوليسية أو ذات لغز بوليسي كأعمال الكاتبة الانكليزية أجاتا كريستي (1891-...) أو عندما نقرأ روايات تعتمد المغامرة كعنصر جذاب كروايات جرجي زيدان (لبنان 1861- القاهرة 1914) التاريخية الانقلاب العثماني (1911) أو أسير المتمهدي (1892) مثلاً. وهو ما يحدث كذلك في النصوص الأدبية التي تبني حبكتها حول التشويق الغرامي كما في بعض روايات إحسان عبد القدوس (القاهرة 1919-1990) الناجحة (في بيتنا رجل، 1957).

يقع نقيض ذلك حين يكون النص أصعب أو أعقد، فعندها يستطيع القارئ أن يهمل تعاقب الأحداث في سبيل تأويلها، فيتوقف عند هذا المقطع أو ذاك يُعمل فيه نظره ويسعى لإدراك كل معانيه المضمرّة وكل تفسيراته الممكنة.

والحقيقة أن نشاط القراءة في النصوص الأولى يمضي قدماً في سبل الحبكة الروائية ومنعطفاتها، وهو لا ينظر إلا إلى رقعة النص وانتشارها، ولا يعبر اهتمامه قط لتراكيب اللغة وبنى جملها، فحين يقرأ أحدنا يوسف السباعي (القاهرة 1917 - قبرص 1978) فإنه يقرأ بسرعة فائقة، وإذا أهمل شيئاً من خطاب الكاتب فإنه بدون ريب لا يفقد شيئاً يعيق قراءته، وأما قراءة النصوص الأخرى فإنها لا تُفقد شيئاً وهي تتفحص كل شيء وتلتصق بنصها التصاقاً، فهي إذا صح القول قراءة مجتهدة ومتحمسة، وهي تطارد في كل نقطة من نقاط النص مهارة الفن وإتقان الصنعة، وهي تبحث باستمرار عما يربط أطراف الجملة ببعضها البعض وليس ما يربط وقائع الحبكة وأحداثها، من هذا المنطلق تظهر كفاءة القارئ في عملية القراءة.

3-3- القراءة نشاط عاطفي:

تكمّن جاذبية القراءة إلى درجة كبيرة في الأحاسيس التي تثيرها فينا، وإذا كان تلقي النص يعبئ عند قارئه ملكاته الفكرية فإنه يهيج نزعاته العاطفية على نحو أشد، فالأحاسيس هي التي تقوم خلف مبدأ تقمص القارئ للشخصيات الروائية، وهذا المبدأ هو المحرك الأساسي لقراءة الأعمال التي تركز على الخيال، ولقد أشار الناقد الروسي توماشيفسكي (Tomachevski) (10) ومنذ مطلع القرن العشرين إلى أهمية العواطف الأولى في لعبة النص، حيث كلما كبرت موهبة الكاتب وقوة نصّه على الإقناع كلما كبرت صعوبتنا في مقاومة السيطرة على انفعالاتنا، وقوة الإقناع هذه هي منبع افتتاننا بالنص الأدبي وسبب تأثرها به وذلك لأنها إحدى وسائل التعليم.

ولقد أشار فرويد Freud كذلك إلى ضعف مقاومتنا العاطفية هذه، وكان يرى أنها سبب الخراطنا في عالم النص الروائي وهي بالتالي سبب العظة التي نستخلصها من تلك التجربة، وذلك لأننا جميعاً وعلى وجه العموم نظل سلبيين أمام شؤون الحياة اليومية وممثلين لتناججها، ولكننا نستكين لنداء الشاعر وهو يستطيع بفضل الحالة النفسية التي يثيرها فينا وعن طريق الآمال التي يلوح بها أمامنا أن يعث بعواطفنا فيوجهها حيث يشاء.

إن ارتباط القارئ العاطفي بالنص المقروء هو مكوّن أساسي من مكوّنات القراءة وأنه سيبقى كذلك حتى زمن بعيد، وعليه لا يمكننا استبعاد التماهي بين القارئ والشخصية الروائية لتحسيد العنصر الانفعالي من التجربة الجمالية التي كانت من اهتمام الكتاب والمنظرين المعاصرين.

3-4- القراءة نشاطٌ حجاجي:

بما أن النص هو نتيجة إرادة الكاتب الخلاقة الواعية ومجموعة عناصر منظّمة فإنه من الممكن دائماً أن نخلله على أنه خطاب، أي على أنه موقف يتخذه الكاتب من الكون ومن الكائنات ولا يعدّل من ذلك شيئاً أن يلجأ الكاتب في روايته إلى ضمير الغائب.

وإذا استخدمنا مصطلحات النظرية التداولية (11) في النقد قلنا بأن النية في تعديل سلوك من يتوجه إليه الخطاب والتأثير عليه هي صفة لازمة في النصوص الروائية، فالسرد أي ما يقوم به الحاكي حين يروي حكايته، يسعى إلى أن يقود المؤلّ الغائب (أي القارئ الذي يقرأ النص المسرود) أو القارئ الحاضر (المستمع الذي يصغي للنص المروي) إلى تبني خاتمة ما أو إلى الإعراض عنها، ونية الإقناع هذه موجودة في كل حكاية ظهرت واضحة جلية أم توارت عن عين القارئ المتسرّع.

وتظهر الوظيفة الحجاجية بوضوح في الروايات التي تدافع عن فكرة ما أو عن قضية محددة، كأغلب روايات حنا مينه التي تهدف إلى إقناع القارئ بصحة موقف الطبقات الكادحة السورية أو كبعض الروايات التي تريد تصوير فساد المدينة الجديدة كما في رواية عبد النبي حجازي (جيروود، سورية 1938) قارب الزمن الثقيل (1970) أو في رواية أحمد يوسف داوود (طرطوس سورية 1945) دمشق الجميلة (1977).

ولكننا نجد هذه الوظيفة كذلك في نصوص تنتمي إلى أنواع أدبية أخرى، فالجاحظ يحاول مثلاً في كتابه البخلاء أن يعدل من طريقة القارئ في النظر إلى مسألة الشح من خلال عرضه لوجهات نظر متباينة حول هذا الموضوع، فهو يترك سهل بن هارون وأبا يوسف الكندي يشرحان لنا كيف يكون البخل صلاحاً والشح اقتصاداً، ويكاد القارئ يوافقهما الرأي ويقرهما على ما هما فيه، ثم يدعو أبو عثمان آخرين فيذمّون البخل ويظهرون مساوئه ويدون على حجج سهل بن هارون وصاحبه بحجج أخرى لا تقل عنها بلاغة ولا إقناعاً، ويصبح من الصعب بعدها على القارئ أن يطرح وجهة نظر هؤلاء كاملة ليتبنى رأي أولئك بمجموعه، فكل منظور يلغي الآخر، وكل طريقة لها ما يدعمها، وهكذا يقود أبو عثمان عمرو بن بحر قارئه قوداً هيناً إلى غايته الأولى وإلى نيته الأساسية، وهي نسبية الإحالة المرجعية وتعدّرتبني أحكام مطلقة.

ومهما يكن نوع النص الأدبي فإنه يدعو دائماً قارئه دعاء سافراً أو مستتراً بإلحاح قد يقوى أو يضعف، إلى تبني موقف ما، ومع ذلك فللقارئ الحق بأن يأخذ بالحجج المطروحة أو أن يرميها، ويستطيع كذلك أن يرضى بالنقاش القائم أو يشيح عنه.

3-5- القراءة نشاط رمزي:

إن المعنى الذي يستخلصه القارئ من قراءته (بردة أفعاله أمام القصة المسرودة، وبتأثره بالحجج المعروضة وبتعدد زوايا السرد والرواية) يمضي مباشرة ليتخذ مكاناً له في البيئة الثقافية التي يعيش فيها ذلك القارئ.

وكل قراءة تؤثر وتتأثر معاً بالثقافة وبالبنية السائدة في عصر ما وفي بيئة ما، حيث أنكرت القراءة النماذج الفكرية المهيمنة في الخيال الجماعي، فتؤكد بذلك بعدها الرمزي، ويكتسب المعنى الذي ترتديه قراءة ما في وسط ما أهميته بالنسبة لبقية أشياء العالم التي يألّفها القارئ في ذلك الوسط، ويثبت هذا المعنى في خيال ذلك القارئ، وبما أن هذا القارئ ينتمي بالضرورة إلى مجموعة بشرية وإلى خيال جماعي تتميز به هذه الجماعة عن غيرها من الأقوام فإن المعنى الذي ثبت في خياله يوافق كذلك الخيال الجماعي.

وهكذا فإن القراءة الفردية تظهر هنا كجزء لا يتجزأ من ثقافة جماعية، ونحن نعرف الآن كيف أثّرت كتابات الثلث الأول من القرن العشرين تأثيراً كبيراً في تطوّر المجتمع العربي الثقافي، فإذا ذكرنا أن طبائع الاستبداد لعبد الرحمن الكواكبي (حلب، سورية 1848-1902) وتحرير المرأة لقاسم أمين (1865-1908) والشعر الجاهلي لطفة حسين (المغارة، مصر 1889-1973) ومسألة الحكم في الإسلام لعلي عبد الرزاق قد ظهرت جميعها بين عام 1900 وعام 1925 أدركنا كيف يمكن للقراءة أن تغير من الذهنية الاجتماعية خلال بضعة سنوات.

4- تأثير التكنولوجيات الحديثة على فعل القراءة:

نظراً للتطور التكنولوجي الهائل والانفجار المعرفي الذي يشهده العصر الحالي والاهتمام بحرية التعبير وإبداء الرأي اتسع مفهوم القراءة وأصبحت القراءة عقلية انفعالية تشمل تفسير الرموز والرسوم التي يتلقاها القارئ عن طريق فهم المعاني والربط بين الخبرة السابقة للقارئ والاستنتاج والنقد والحكم والتذوق وحل المشكلات ومن هنا جاءت أهمية ربط القراءة بالابتكار والإبداع وخرجت القراءة من مفهومها التقليدي الذي أصبحت لا يفي بحاجات العصر إلى القراءة الابتكارية التي تجعل من الكتاب مصدراً للتفكير والإبداع وتجعل المتعلم يغوص في المادة المقروءة ليكتسب الحقيقة فيما يقرأ ويستدعي الأفكار المخبوءة التي يمتلكها هو والتي يمزجها بتخيله فيزداد رصيده من المادة المقروءة ويصبح قادراً على توظيفها واستخدامها أو إعادة كتابتها والتعبير عنها، فقد تعددت واختلّفت المقاربات النظرية لتحقيق هذا المفهوم.

للقراءة الابتكارية أهمية كبيرة في حياة الإنسان بوجه عام، لاسيما في هذا العصر، وذلك لما يتطلبه من المرونة في التفكير⁽¹²⁾، و القدرة على اتخاذ القرار السليم، علاوة على حل المشكلات بطرق غير تقليدية، كما أن القراءة الابتكارية

تتيح فرصاً متعددة للانفتاح على العالم، كما أنها تجعل الطالب أكثر فاعلية و إيجابية، و من ثم فإن هذا يسهم في تحقيق تقدم في تعلم الفنون اللغوية الأخرى، والتي تحتاج إلى إعادة استبصار و ترتيب و تنظيم للعلاقات بين أبعاد و عناصر المادة المتعلمة، كما يبرز هذا في تعلم الأدب باعتباره في الأصل مادة مقروءة و يشكل هدفاً من أهداف تعلم القراءة بالدرجة الأولى، كما يبرز في تعلم القواعد، لأن المتعلم يمكنه حينئذ الربط بين القواعد المختلفة، و إعادة تنظيم العلاقة في ذهنه بين هذه القواعد و تكوين تصور واضح وجيد عنها، ليس هذا فقط بل إن هذه الأهداف تسهم في تعلم المواد التعليمية الأخرى، والتي تستلزم القراءة بطبيعة الحال، و من ثم إعادة الاستبصار و تقديم حلول جديدة و متنوعة عن طريق إعادة تنظيم العلاقات بين أبعاد هذه المواد، مثل العلوم و الدراسات الاجتماعية .

و على الرغم من هذه الأهمية البالغة إلا أننا لا نجد اهتماماً بتحقيقها في الميدان، بل يسير الاهتمام بالقراءة في رتبة وممل، و لا يتعدى هدفه تعليم النطق ومهارات التعرف و مهارات الفهم المباشر والبحث عن استراتيجيات تسهم في تحقيق هذه الأهداف و كان على رأسها إستراتيجيتي القراءة التبادلية و القراءة التفاعلية.

أما إستراتيجية القراءة التبادلية فهي تساعد على تنمية مهارات القراءة الابتكارية، وذلك من خلال إجراءاتها و طبيعتها التي تقوم على التعاون بين أعضاء جماعة العمل في سلسلة من العمليات في القراءة، مما يؤدي إلى تبادل الخبرات، علاوة على العصف الذهني الذي يساعد على تنشيط ما لدى كل من أعضاء المجموعة من أفكار و معارف، تسهم في ابتكار الحلول المختلفة للمشكلة الواحدة.

أما إستراتيجية القراءة التفاعلية فهي تساعد على تنمية مهارات القراءة الابتكارية من جهات متعددة، يعد من أبرزها ما تقوم به من عملية التفاعل و المزج بين ما لدى القارئ من خبرات و معارف و معلومات سابقة عن موضوع النص المقروء من جهة، و ما في النص من خبرات و معارف جديدة من جهة أخرى، مما يؤدي إلى إحداث نوع من التقويم لهذه الخبرات أو تلك، و من ثم تظهر الخبرات والمعارف الجديدة التي نشأت عن هذا المزيج، مما يساعد على ظهور حلول مبتكرة غير تقليدية للمشكلات المطروحة.

5- تأثير الحاسوب على فعل القراءة:

تنخفض القراءة على الحاسوب بقراءة 25 في المائة مقارنة بقراءة الورق، فيما لا يتعدى الانخفاض نسبة الـ 10 في المائة لدى مستخدمي الألواح الإلكترونية، وربما أتى هذا من الشبه بين أجهزة اللوح الإلكترونية والكتاب الورق، إضافة إلى تطور تقنيات التصفح باللمس لتصبح شبيهة بحركة اليد أثناء قراءة الورق.

ومع القراءة الإلكترونية، تقلص الذاكرة المكانية للنص، فمن المستطاع عموماً أن يتذكر قارئ النص الورقي، مكان وجود معلومة ما في الصفحة أو الكتاب، ومع التصفح المحلّق وأشرطة التمرير، يصبح هذا الأمر صعباً تماماً.

من المؤكد أن القراءة عمل يتصل مباشرة بالدماغ، وتؤثر على مناطق محدّدة فيه، وتبرهن البحوث الحديثة في علم الأعصاب أن الوصلات العصبية تتغير بشكل دائم، بالاستجابة للتجارب التي يعيشها الإنسان، وضمنها استعمال الأدوات، وتزيد القراءة نشاط المناطق البصرية تلك المتخصصة بالتعرّف إلى الأشكال المكتوبة، ويلاحظ أن إجادة القراءة تزيد الاستجابة للمؤثرات البصرية، كما ترفع درجة تحفيز المناطق الدماغية المتخصصة بترميز الأصوات، والمتصلة بالعلاقة بين اللغة والكلمات المكتوبة، من الممكن أن تحدث هذه التغيرات في مراحل العمر كافة، كما أنها تتأثر بمستوى التدريب على القراءة وممارستها.

خاتمة:

القراءة هي البوابة الأولى لتلقي العلوم المختلفة والمتنوعة، وهي الوسيلة الوحيدة لانتقال المعرفة، وهنا تكمن أهمية القراءة بالدرجة الأولى؛ بهذا تستطيع فتح آفاق أوسع وأشمل للباحثين في ميادين مختلفة. تعتبر القراءة من أهم المهارات المكتسبة التي تحقق النجاح والمتعة لكل فرد خلال حياته، حيث تسعى معظم الآليات لتحقيق القراءات التفاعلية و الابتكارية، وذلك تجسيدا أن القراءة هي الجزء المكمل لحياتنا الشخصية والعملية وهي مفتاح أبواب العلوم والمعارف المتنوعة.

وعليه، ستبقى نظريات القراءة أهم آلية إستراتيجية لتحليل النصوص والخطابات الأدبية والفكرية من أجل بناء المعنى من جديد فهما وتفسيرا وتأويلا.

القائمة البيبليوغرافية:

- 1- نظريات القراءة. عبد الرحمن بوعلي؛ علي لغزيوي. المغرب: الجسور؛ 1995. ص. 96.
- 2- - Chantal Horellou-Lafarge et Monique Segré. Sociologie de la lecture. Paris : La Découverte, 2003 (2^e éd. 2007).p.104.
- 3- سمر روجي، الفصيل. معجم الروائيين العرب طرابلس. لبنان: دار جروس برس؛ 1995. ص. 176.
- 4- قاسم الموني، "نحو تأسيس مفهوم معاصر لقراءة النص الأدبي"، مجلة كلية التربية، العدد الخامس عشر، جامعة عين شمس، 1991، ص 72.
- 5- نبيلة إبراهيم، القارئ في النص: نظرية التأثير والاتصال، ضمن مجلة فصول، القاهرة، المجلد الخامس، العدد الأول، أكتوبر، نوفمبر-ديسمبر، ص 103.
- 6- فولفغانغ إيزر، فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب (الأدب)، ترجمة حميد الحميداني، الجلالى الكدية، منشورات مكتبة المناهل، ص 11.
- 7- هانس روبرت ياكس، نظرية التلقي، ترجمة عز الدين إسماعيل، النادي الثقافي بجدة، الطبعة الأولى، ص 33.
- 8- علي حرب: قراءة ما لم يقرأ: نقد القراءة، ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر، ع 6، س 1989. ص 42.
- 9- أعضاء اتحاد الكتاب العرب في القطر العربي السوري والوطن العربي. أديب عزت؛ إسماعيل عامود؛ مرا: عبد الله أبو هيف. دمشق: منشورات اتحاد الكتاب العرب؛ 1984. ط 2. ص. 45.
- 10- A.-M. Chartier et J. Hébrard. Discours sur la lecture. Paris : Fayard, 2002.p76.
- 11- نظريات القراءة والتأويل الأدبي وقضاياها. حسن مصطفى سحلول. دمشق: اتحاد الكتاب العرب؛ 2001. ص. 210.
- 12- - Hans Robert Jauss : Pour une Esthtitque de la réception, Gallimard, Paris, 1978, p50.